

قد توفى مانديلا، لماذا تكتم الحقيقة حول نظام التفرقة العنصرية؟



ربما فكرت الامبراطورية أن شعبنا لم يكن يشرف كلمته عندما، بأياملتبسة للقرن الماضي، أكدنا على أنه في حالة انهيار الاتحاد السوفياتي سوف تواصل كوبا نضالها.

انفجرت الحرب العالمية الثانية بأول سبتمبر عام 1939، عندما غازت النازية-الفاشية على بولندا و سقطت ،هي الأخرى، كالرعد، على الشعب الباسل للاتحاد السوفياتي، الذي قدم أرواح سبعة و عشرين مليون نسمة لحماية الانسانية من تلك المذبحة الوحشية التي أدت إلى وفاة أكثر من خمسين مليون شخص.

و إن الحرب، من جانب آخر، هي تعتبر النشاط الوحيد الذي لم يكن الجنس البشري قادرا على تجنبه على امتداد التاريخ؛ مما أدى إلى أن يجيب أينستين أنه لم يكن يعرف كيف ستكون الحرب العالمية الثالثة، و لكن الرابعة ستخاض بالأحجار و العصي.

إذا أضيفت الوسائل المتوفرة لدى أقوى دولتين، الولايات المتحدة و روسيا، لديهما أكثر من 20000-عشرين ألف رأس نووي. ينبغي على الانسانية أن تعرف بشكل جيد أنه بعد ثلاثة أيام من استيلاء جون إف. كينيدي على رئاسة بلده، بيوم عشرين يناير/ كانون الثاني عام 1961، كانت هناك مقاتلة بي-52 من الولايات المتحدة، تقوم بسفرة روتينية و كانت تنقل قنبلتين نوويتين اللتان قدرتهما التدميرية تفوق 260 مرة القدرة التدميرية للقنابل التي تم قذفها بهيروشيما، تعرضت لحادثة و سقطت الطائرة على الأرض. بمثل هذه الحالات ، هناك أجهزة أوتوماتيكية حديثة جدا يتم تنشيط بعض ألياتها و تحول دون انفجار القنابل. سقطت أول قنبلة دون أي مخاطر؛ أما في حالة الثانية ، فشلت ثلاثة أليات من الأربعة التي يتم تنشيطها، و الآلية الرابعة، التي كانت قد أصبحت بحالة حرجة ، بالكاد لم تعمل؛ و لم تنفجر القنبلة لمجرد الصدفة البحتة .

لم تكن هناك إي حادثة في الماضي أو في الحاضر ، حسيما أتذكره و حسب ما استمعت إليه، كانت لديها هذا الأثر الكبير هكذا بهذا الشكل مثل وفاة مانديلا؛ و لم يسفر ذلك عن ثرواته، بل و إنما عن نوعيته الانسانية، و مشاعره و أفكاره النبيلة.

على امتداد التاريخ، و حتى اللحظة التي تسبقنا بقرن و نصف بالكاد، و قبل أن تتولى الآلات و الرجل الأكي مهامنا المتواضعة، بكلفة دنيا من الطاقات ، لم تكن توجد و لا ظاهرة من الظواهر التي تهز الانسانية اليوم و التي يتقيد بها بشكل حتمي اليوم كل واحد من الأشخاص: رجالا أو نساء، أطفالا و شيوخا، شبابا و بالغين سن الرشد، مزارعين و عمال المصانع، و الذين يقومون بأعمال يدوية و المثقفين. يسود الاتجاه نحو الإقامة بالمدن، حيث التشغيل و ايجاد فرص للعمل، و النقل و توفير أدنى شروط للحياة تتطلب استثمارات هائلة على حساب إنتاج الأغذية و على حساب أنماط أخرى من الحياة الأكثر عقلانية.

هناك ثلاثة دول عظمى أنزلت أجهزة و آلات بقرم كوكبنا. بنفس اليوم الذي تم فيه دفن نيلسون مانديلا و هو مكفن بعلم وطنه و

هذا بالحديقة الخلفية بيته الكادح الذي وولد فيه منذ 95- خمسة و تسعين سنة، بنفس ذلك اليوم، كان ينزل جهاز حديث جدا من جمهورية الصين الشعبية على الفضاء المنور لقمرا. إن التزامن ما بين الحدثين جرى صدفة اطلاقا. يبحث الملايين من العلماء مواد وإشعاع الأرض و الفضاء و من خلالهم يعرف أن تيتان ، أحد أقمار الزحل، اختزن 40- أربعين مرة زيادة-البترول الموجود بكوكبنا عندما بدأ استغلاله منذ 125 عام بالكاد، و بوتيرة الاستهلاك الحالي سيبقى البترول متوفرا قرن اضافي فقط.

قد تولدت مشاعر الأخوة العميقة ما بين الشعب الكوبي و وطن نيلسون مانديلا و أسفرت عن حدث لم يذكر بعد و لم نكن نقول و لا كلمة واحدة حوله على امتداد سنوات طويلة ؛ مانديلا لأنه كان رسولا للسلام و لم يكن يريد اساءة أو جرح أحد. كوبا، لأنها لم تقم بأي عمل، أبدا، بحثا عن المجد أو السمعة.

عندما انتصرت الثورة بكوبا كنا متضامين مع المستعمرات البرتغالية بإفريقيا، منذ السنوات الأولى؛ كانت حركات التحرر تضايق و تهدد الاستعمار و الامبريالية، بعد الحرب العالمية الثانية و بعد ما تم تحرير جمهورية الصين الشعبية- البلد الذي لديه أكبر عدد السكان بالعالم- بعد الانتصار المجيد للثورة الاشتراكية الروسية. كانت الثورات الاجتماعية تهز اركان النظام القديم. كان عدد سكان المعمورة في عام 1960 يتجاوز ثلاثة مليار نسمة. بالتوازي تقوت أكثر و تعززت الشركات الكبرى متعددة الجنسيات ، التي كانت تقريبا كلها بأيدي الولايات المتحدة ، التي أصبحت عملتها ، عن طريق احتكار الذهب و الحفاظ على صناعتها سليمة بفضل ابتعادها عن جبهات المعركة، أصبحت تسيطر على الاقتصاد العالمي. و قد ألقى ريشارد نيكسون من طرف واحد دعم عمله بالذهب. و امتلكت شركات و مؤسسات بلده على أهم موارد و مواد خامة المعمورة، و قد حصلت عليها بواسطة أوراق.

إلى هنا ليس هناك شيئا لا يعرف. و لكن، لماذا تجري محاولة لكتنم أن نظام التفرقة العنصرية، الذي جعل إفريقيا تعاني هكذا كثيرا و الذي أغضب الأغلبية الساحقة من أمم العالم ، كان، هو الآخر، ثمرة لأوروبا الاستعمارية و قد جرى تحويله إلى دولة عظمى نووية من قبل الولايات المتحدة و إسرائيل، و هذا ما ادانته كوبا بشكل علني، فقد كانت كوبا، هي الأخرى، تساند المستعمرات البرتغالية التي كانت تناضل من أجل استقلالها بإفريقيا.

إن شعبنا، الذي قدمت اسبانيا بلده للولايات المتحدة بعد الكفاح الباسل الذي خاضه خلال أكثر من ثلاثين عاما ، لم يتقبل مطلقا لنقد النظام العبودي الذي فرض عليه خلال تقريبا 500 سنة.

من ناميبيا، المحتلة من قبل جنوب إفريقيا، انطلقت بعام 1975 القوات العنصرية المؤيدة بالدبابات الخفيفة بمدافع 90 ميليمتر التي تغلغلت أكثر من ألف كيلومتر حتى وصولها بجوار لواندا، حيث استطاعت أن تكبحها كتيبة للقوات الخاصة الكوبية - تم بعثها جوا- و بعض الطواقم الكوبية أيضا للدبابات السوفياتية التي كانت هناك دون من يشغلها. جرى ذلك بنوفمبر/ تشرين الثاني عام 1975، 13 عاما قبل أن يحصل معركة كويتو كونا فالي.

إنني قد قلت أننا لم نكن نفعل شيئا بحثا عن السمعة أو عن أي فائدة. و لكنه حدث حقيقي تماما أن مانديلا كان رجلا متكاملًا، ثوريا راسخا و اشتراكيا بشكل جدي. و هو الذي تحمل بمروءة و جلادة كبيرة و شديدة 27 سنة من السجن الانفرادي.

إنني كنت دائما أشعر بالاعجاب تجاه أمانته، تواضعه و جدارته الهائلة.

كانت كوبا تؤدي واجباتها الأممية بصرامة. كانت تدافع عن المراكز الرئيسية و كانت تدرب سنويا آلاف المقاتلين الأنغوليين في مجال استخدام الأسلحة. كان الاتحاد السوفياتي تقدم الأسلحة . و مع ذلك، بتلك الفترة، لم نشارك فكرة المستشار الأساسي لمزودي الأجهزة العسكرية. إن آلاف الأنغوليين الشباب السليمين كانوا يدخلون بشكل مستمر وحدات الجيش الناشيء. لم يكن المستشار الرئيسي، مع ذلك، زوكوف، أو روكوسوفسكي، أو مالبينوفسكي، أو أي واحد آخر من الذين ملؤوا بالمجد الاستراتيجية العسكرية السوفياتية. كانت فكرته المتشبهة بعث ألوية أنغولية بأفضل الأسلحة إلى الأراضي التي كان يفترض أن تكون مقاما للحكومة القبلية لزيمني، و هو مرتزقة تحت خدمة الولايات المتحدة و جنوب إفريقيا، و كانت هذه الفكرة مماثلة لبعث القوات التي كانت تقاوم باستالنغراد إلى حدود اسبانيا الكاثائية، التي كانت قد أرسلت أكثر من مائة ألف جندي للقتال ضد الاتحاد السوفياتي. كانت تجري بذلك العام عملية من هذا النوع.

كان العدو يتقدم وراء قوات عدة ألوية أنغولية ، المضروبة بالقرب من الهدف المستهدف الذي كان يتم بعثها إلى هناك، على 1500 كيلومتر تقريبا من لواندا. كانت تأتي من هناك، تلاحقها قوات جنوب إفريقيا باتجاه كويتو كونا فالي، التي كانت قاعدة عسكرية قديمة لحلف الناتو، على 100 كيلومتر من أول لواء كوبي للدبابات. بتلك اللحظة الحرجة طلب رئيس أنغولا تأييد القوات الكوبية. و قد أبلغنا الطلب رئيس قواتنا بالجنوب العميد ليوبولدو سينتراس فرياس مثلما كان يجري عادة . و كان جوابنا الثابت أننا كنا سنقدم ذلك التأييد إذا أصبح جميع القوات الأنغولية و الأجهزة و الآلات تخضع للقيادة الكوبية بجنوب أنغولا. و كان الجميع يفهم أن طلبنا كان شرطا لتحويل القاعدة القديمة إلى الميدان المثالي لضرب القوات العنصرية لجنوب إفريقيا.

قبل 24 ساعة وصل الرد الإيجابي من أنغولا. تقرر ارسال لواء دبابات كوبية فورا إلى ذلك المكان. و كانت هناك ألوية أخرى بنفس خط النار و المعركة نحو الغرب. و كانت العرقلة الأساسية الوحل و رطوبة التراب بفصل الأمطار، و كان لا بد من مراجعة و فحص كل الميدان، متر لمترا، لكشف أي الألغام مضادة للأشخاص . كما أنه بعث إلى كويتو الرجال لتشغيل الدبابات و المدافع التي كانت تنقصها الطواقم.

كانت القاعدة منفصلة عن أراضي شرق نهر كويتو الغزير و السريع، الذي كان يقوم عليه جسر متين. كان الجيش العنصري يغزو عليه بقوة و قد انتبهم حالة فقدان الصبر ؛ و كانت هناك طائرة موجهة عن بعد مليئة من المتفجرات استطاعت أن تضرب الجسر و هكذا حققوا تعطيله. إن الدبابات الأنغولية التي تنسحب و يمكنها أن تتحرك اجتازت النهر بالشمال. و التي لم تكن بحالة مؤاتية تم اخفائها و تمويهها و أسلحتها موجهة نحو الشرق. ؛ كان هناك شريط سميك من الألغام المضادة للأشخاص و المضادة للدبابات بحيث تحول خط النار و المعركة إلى فخ قاتل من الجانب الآخر للنهر. عندما استأنفت القوات العنصرية تقدمها و اصطدمت ضد ذلك السور، كانت كل قطع المدفعية و دبابات الألوية الثورية تطلق النار من مواقعها بكويتو.

و قد لعبت دورا خاصا طائرات المقاتلات ميغ 23 ، التي كانت تطير بسرعة قريبة من ألف كيلومتر بالساعة و كان ارتفاعها 100- مائة- متر. كانت قادرة على التمييز بما إذا كان رجال المدفعية سود أو بيض، و كانت تطلق النار ضد هم بشكل غير منقطع. عندما بدأ ينسحب العدو بعد استنزافه و تعطيله، عدت القوات الثورية عدتها للمعارك الأخيرة.

تحركت العديد من الألوية الأنغولية و الكوبية بوتيرة سريعة و على مسافة مؤاتية نحو الغرب، حيث كانت الطرق الواسعة الوحيدة التي من خلالها كان يبدأ دائما الجنوب أفريقيون أعمالهم ضد أنغولا. و مع ذلك، كان المطار يقع على 300- ثلاثمائة- كيلومتر تقريبا من الحدود مع ناميبيا، المحتلة بكاملها من قبل جيش نظام التفرقة العنصرية.

بينما كانت القوات تعيد تنظيمها و تجهيزها اتخذ قرار بكل عجلة ببناء ساحة هبوط طائرات الميغ 23 بشكل عاجل. كان طيارونا يستخدمون الأجهزة و الآلات الجوية المقدمة من قبل الاتحاد السوفياتي إلى أنغولا، التي طياروها لم يتوفر لديهم الوقت المطلوب لتدريبهم بشكل مناسب. كانت بعض الأجهزة و الآلات الجوية قد أصبحت غير صالحة و هذا لخسائر كان يسببها أحيانا رجال مدفيعتنا أنفسهم أو الذين يشغلون الوسائل المضادة للجو. كان الجنوب أفريقيون ما زالوا يحتلون جزءا من الطريق الرئيسي الذي يوصل من حافة الهضبة الأنغولية إلى ناميبيا. و عند جسر النهر الغزير كونيبي، بين جنوب أنغولا و شمال ناميبيا، بدؤوا بتلك المدة الزمنية بلعبتهم المتمثلة باطلاق طلقاتهم بمدافع 140 ميلمتر التي كانت توفر لقتالها مدى قريب من 40 كيلومتر. كانت المشكلة الرئيسية تكمن بواقع و هو أن العنصريين الجنوب أفريقيين كانوا يمتلكون ، حسب تقديراتنا ، بين 10 و 12 سلاح نووي. كانوا قد أجروا التجارب حتى في البحار أو المناطق المجمدة للجنوب. و كان الرئيس رونالد ريغان قد سمح بذلك، و بين الأجهزة الي سلمتها إسرائيل الجهاز الضروري لتفجير الشحن النووي. كان ردنا يتمثل بتنظيم الطاقم بمجموعات للمعركة لا تتجاوز أعضاؤها 1000- ألف- رجل، كان ينبغي عليهم السير ليلا بمساحات شاسعة و معهم عربات مضادة للجو للاعتماد عليها بالمعركة.

إن الأسلحة النووية لجنوب أفريقيا ، حسب تقارير موثوقة، لم يكن من الممكن شحنها من قبل طائرات الميراج، و إنما كانت تحتاج، هي الأخرى، إلى مقاتلات ثقيلة من النوع كامبيرا. و لكن على أية حالة من الحالات، كان الدفاع المضاد للجو عند قواتنا يمتلك مختلف أنواع الصواريخ التي كانت يمكنها ضرب و تدمير أهداف جوية على عشرات الكيلومترات من قواتنا. علاوة على ذلك، كان هناك سد يسع ل 80 مليون متر مربع من الماء، موجود بأرض أنغولية كان قد جرى احتلالها و ووضعت فيها ألغام من قبل المقاتلين الكوبيين و الأنغوليين .

إن انفجار ذلك السد ، لو جرى، لكان يعادل انفجار عدة أسلحة نووية.

و مع ذلك، محطة مائية كهربائية كانت تستقي من التيارات القوية لنهر كونيبي تم استخدامها من قبل فصيلة من الجيش الجنوب أفريقي.

عندما بدأ العنصريون اطلاق النار بمدافع 140 ميليمتر بمسرح العمليات الجديد، ضربت طائرات ميغ 23 بشدة تلك الفصيلة للجنود البيض و انسحب من المكان الذين بقوا على قيد الحياة و قد تركوا بعض الشعارات المكتوبة التي تدين قيادتهم نفسها. هكذا كان الوضع عندما كانت القوات الكوبية و الانغولية تتقدم نحو خطوط العدو.

عرفت أن كاتيونشا بلانكو، مؤلفة لبعض الروايات التاريخية، كانت هناك إلى جانب صحفيين و مصورين آخرين. كان الوضع متوترا؛ و لكن، لا أحد فرغ صبره.

حينئذا وصلت الأخبار عن استعداد العدو للمفاوضات. كانت قد تحققت أخيرا انتهاء المغامرة الامبريالية و العنصرية؛ بالقارة التي ستصبح عدد سكانها أكبر من سكان الصين و الهند معا خلال 30 - ثلاثين- سنة.

لن ينس دور الوفد الكوبي بمناسبة وفاة أختنا و صديقنا نيلسون مانديلا.

إنني أهنيء الرفيق راؤول لأدائه اللائق، على وجه الخصوص، لثباته و كرامته عندما سلم على رئيس حكومة الولايات المتحدة ببادرة لطيفة، و لكنها ثابتة، و قال له باللغة الانجليزية: " السيد الرئيس ، إنني كاسترو".

عندما صحتي وضع قيودا على قدرتي البدنية ، لم أتردد و لا في لحظة بالتعبير عن وجهة نظري حول من، حسب تقديري، كان يستطيع أن يتولى المسؤولية. إن الحياة هي دقيقة بحياة الشعوب، و أفكر أنه من يتولى اليوم مثل هذه المسؤولية يتطلب الخبرة و السلطة الضرورية لاتخاذ القرار أمام عدد متزايد، عدد لا يحصى و لا يعد من الخيارات.

إن الامبريالية ستحتفظ دائما بعدة أوراق لإركاك و إخضاع جزيرتنا، حتى لو كان ينبغي عليها افراغها من السكان و تحريمها من الرجال الشباب و النساء الشابات، عن طريق تقديم لها فئات من الخيرات و الموارد الطبيعية التي تحصل عليها من خلال نهب العالم.

فليتحدثوا الآن ناطقو الامبراطورية حول كيف و لماذا ظهر نظام التفرقة العنصرية.



فيدل كاسترو
18 ديسمبر 2013
8 و 35 مساء

مصدر:

Cubadebate
18/12/2013

- <http://www.fidelcastro.cu/ar/%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA/qd-wf-mndyllmdh-tktm-lhqq-hwl-nzm-ltfrq-lnsry?width=600&height=600> **Source URL:**